

النشاط الزراعي في مملكة سنغاي الإسلامية ودوره في ازدهارها الاقتصادي (869-1000 هـ / 1464 - 1591 م)

د.علي مصطفى عاشور

قسم التاريخ - الأكاديمية الليبية لدراسات العليا- فرع مصراته

Smartun601@gmail.com

الملخص

يُعد النشاط الزراعي من أبرز مقومات الاقتصاد في مملكة سنغاي الإسلامية، التي ازدهرت في غرب إفريقيا خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين / الخامس والسادس عشر الميلاديين؛ فقد استفادت المملكة من موقعها الجغرافي على ضفاف نهر النيجر، الذي وفر المياه والتربة الخصبة اللازمة لقيام زراعة متنوعة، شملت الحبوب مثل : الدخن، والذرة، والقمح، إضافة إلى زراعة الخضروات والفواكه.

ولقد اعتمد سكان سنغاي على أساليب زراعية تقليدية متطورة نسبياً في ذلك الوقت، مثل : استخدام وسائل الري، وتنظيم المواسم الزراعية، مما أسهم في تحقيق فائض إنتاجي دعم التجارة الداخلية والخارجية؛ وكان النشاط الزراعي مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالنشاط التجاري، حيث شكلت المنتجات الزراعية أساساً للتبادل مع المناطق المجاورة عبر طرق القوافل التي تربط الصحراء الإفريقية بالمناطق الساحلية .

كما ساهمت الزراعة في استقرار السكان وازدهار المدن الكبرى مثل ؛ غاو وتمبكتو وجني، كما كان لها دور في تعزيز سلطة الدولة وتقوية اقتصادها؛ ومن خلال هذا النشاط، استطاعت مملكة سنغاي أن تكون من أقوى الممالك الإسلامية في إفريقيا، تجمع بين التقدم الاقتصادي والتأثير الثقافي والحضاري في المنطقة.

استلمت الورقة بتاريخ
2026/4/2، وقبلت بتاريخ
2026/05/06، ونشرت
بتاريخ 2026/05/07

الكلمات المفتاحية: مملكة
سنغاي، غرب إفريقيا،
النشاط الزراعي، الاستقرار
السياسي.

المقدمة :

استطاعت مملكة سنغاي بفضل موقعها الجغرافي، من السيطرة على الطرق التجارية، والأراضي الزراعية الخصبة، التي تقع على نهر النيجر، الذي يمر بها من الغرب إلى الشرق، والذي يتميز بخصوبته الدائمة⁽¹⁾. وبالتالي لقد أصبح لهذه المملكة في عهد السلطان الأسكيا محمد الكبير ثروة اقتصادية عالية، نتيجة للتوسع في الفتوحات، حيث بلغت المملكة مناطق الغابات الاستوائية غزيرة الأمطار جنوباً، وبلاد الطوارق شمالاً، وبلاد الهوسا شرقاً، والمحيط الأطلنطي غرباً، وهي أرض احتوت على منتجات زراعية ذات قيمة اقتصادية، إلى جانب التربة الخصبة التي كان يستغلها المزارعون في جميع الأغراض الزراعية⁽²⁾، فضلاً عن مناطق السافانا الشاسعة، التي كانت توفر المراعي اللازمة للثورة الحيوانية الموجودة بالمملكة، وهي ثروة ضخمة بأنواعها الداجنة، والمتوحشة، إلى جانب الأنهار الغنية بالأسماك وكذلك البحيرات⁽³⁾.

مشكلة البحث :

على الرغم من أن مملكة سنغاي كانت من أعظم الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، إلا أن الدراسات التاريخية ركزت غالباً على جوانبها السياسية والعسكرية، وأغفلت الجوانب الاقتصادية والزراعية التي كانت الأساس في قوتها وازدهارها.

(1) الفيتوري عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء، مرحلة انتشار الإسلام، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1998 م ، ص319.

(2) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم (ت 350هـ / 963م)، المسالك والممالك، وزارة الثقافة والإعلام، القاهرة، 1961 م ، ص34. للمزيد انظر القلقشندي، محي الدين بن أحمد، ت 1441/845 م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر، القاهرة، 1963، ج5، ص5.

(3) علي، فاي منصور، أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغاي الإسلامية (889-935هـ/1493-1529م)، منشورات مكتبة الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1997 ، ص114. محمد، ظاهر جاسم، أفريقيا ما وراء الصحراء منذ الاستقلال إلى الاستعمار، دراسة تاريخية، دن. دم، ص48-49.

وتتمثل مشكلة البحث في التساؤل الرئيس التالي : ما دور النشاط الزراعي في مملكة سنغاي الإسلامية في دعم اقتصادها وتحقيق استقرارها السياسي والاجتماعي؟
ويقرع عن هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية ، مثل :

- ما العوامل الطبيعية والبشرية التي ساعدت على تطور الزراعة في مملكة سنغاي ؟
- ما أهم المحاصيل الزراعية وأساليب الزراعة المستخدمة ؟ .
- كيف ساهم النشاط الزراعي في ازدهار التجارة والرخاء الاقتصادي في المملكة ؟ .

أهداف البحث :

- 1- توضيح أهمية الزراعة كمصدر رئيس للاقتصاد في مملكة سنغاي الإسلامية .
 - 2- التعرف على العوامل الجغرافية والبشرية التي ساعدت على نمو النشاط الزراعي .
 - 3- دراسة العلاقة بين الزراعة والتجارة في بناء قوة المملكة الاقتصادية .
 - 4- إبراز دور الزراعة في استقرار المجتمع السنغاي وتطوره الحضاري .
 - 5- المساهمة في إثراء الدراسات التاريخية حول الممالك الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء .
- المنهج المستخدم :** يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي وذلك من خلال تتبع الأحداث التاريخية المتعلقة بالنشاط الزراعي في مملكة سنغاي، وتحليل المصادر التاريخية والجغرافية التي تناولت الحياة الاقتصادية للمملكة .

أولاً: الزراعة وعوامل ازدهارها:

تُعد الزراعة من أهم الموارد الاقتصادية في المملكة، حيث تمثل الحرفة الرئيسية والمصدر الأساسي لغالبية أهل البلاد، حيث ساهم الأسكيا محمد الكبير في تطوير الإنتاج الزراعي وتحسين الحبوب، ورفع معدلات الإنتاج مستفيداً من صلات بلاده بالشمال الأفريقي، خاصة في مناطق المغرب الأقصى⁽⁴⁾.

فالزراعة في المملكة بشكل عام، تركزت على جنبي نهر النيجر وفروعه، والمناطق الغربية من الأنهار، أما المناطق البعيدة عن الأنهار، فقد اعتمدت الزراعة بها على مياه الينابيع والآبار، وكذلك مياه الأمطار والتي تعتبر المورد الرئيسي لري محاصيلهم الزراعية، أضف إلى ذلك، استخدام فضلات الحيوان لزيادة خصوبة التربة، الأمر الذي ساعد على تنوع المحاصيل، من الحبوب والثمار والفواكه والخضر⁽⁵⁾.

فالزراعة في سنغاي متنوعة الغلات، حيث تزرع المحاصيل المختلفة، فعدد سكان المملكة كثير، وجلهم يستغلون الفلاحة⁽⁶⁾، خاصة وأن العديد من المناطق الزراعية بأفريقيا، ومنها منطقة جنوب غرب الصحراء التي تشتهر بإمكانياتها وغلاتها الزراعية المتنوعة⁽⁷⁾، لقد شجع الأسكيا محمد الكبير الزراعة، وأنشأ العديد من القرى الزراعية، وعمل على تخفيض الضرائب على المحاصيل الزراعية المتنوعة؛ لتشجيع الفلاحين على الزراعة، وكان يمد المزارعين بالبذور⁽⁸⁾.

وهو ما جعل الزراعة في تلك الفترة تزدهر وتتطور، للأسباب التالية:

1. خصوبة التربة من جهة في جميع مناطق السودان الغربي، وخاصة مملكة سنغاي.
2. جريان عدة أنهار في المنطقة، أهمها: نهر السنغال، ونهر النيجر، وروافدها.
3. وقوع بلاد السودان الغربي في المنطقة الاستوائية، حيث تتعرض لهطول الأمطار بغزارة طول العام.
4. تطور الزراعة في السودان الغربي، بعد شق القنوات والترع وإيصال المياه إلى الجهات المنخفضة، وإقامة السدود على البحيرات، وذلك للاحتفاظ بمياه الفيضان⁽⁹⁾.
5. استعمال أساليب زراعية متقنة، مثل: سحب المياه للري الواسع، واستعمال الأسمدة من قبل الفلاحين الوافدين على البلاد، وكانت لديهم خبرة في الزراعة⁽¹⁰⁾.

وفي ظل هذه الأسباب، أصبحت الزراعة المصدر الأول للاقتصاد في مملكة سنغاي، واعتبارها الحرفة الرئيسية للسكان، حيث اهتم حكام البلاد بالزراعة، وتطوير الإنتاج، إذ تركزت الزراعة في الوديان، والمناطق الخصبة، فأنتجت محاصيل متنوعة، منها: الحبوب والثمار والخضروات، فأراضي سنغاي كانت تحتوي على موارد طبيعية كبيرة، حيث السهول الخصبة، التي توفر العلف للماشية والماعز والغنم، ولها أنهار وبحيرات كثيرة، تزخر بالأسمك، والتي تساهم في توفير الغذاء لهم⁽¹¹⁾.

لقد كانت الزراعة في السودان الغربي تمارس في مزارع للقطاع الخاص والعام، وكان لحكام مملكة سنغاي مزارع خاصة بهم، يشغل بها عبيدهم، ويشرف على العمل بالمزارع رئيس حكومة، وكان حكام سنغاي يمنحون أتباعهم مزارع، لهم ولأبنائهم، وكانت

(4) التكتيك، جميلة امحمد، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير 1493-1528، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988، ص101-102.

(5) زيادية، عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، دت، ص172.

(6) التكتيك، جميلة امحمد، المرجع السابق، ص103.

(7) شرف الدين، لمياء محمد سالم، بعض ملاحم أزمة أفريقيا الاقتصادية في القرن الخامس للإسلام، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1999، ص260.

(8) التكتيك، جميلة امحمد، المرجع السابق، ص105.

(9) النقيرة، محمد عبد الله، التأثير الإسلامي في غرب أفريقيا، مطبعة الفرزدق، الرياض، 1988، ص258. للمزيد انظر السعدي، المصدر السابق، ص70.

(10) الشطشاط، علي حسين، الموجز في التاريخ الدول الإسلامية في غرب أفريقيا جنوب الصحراء، وارقيا للطباعة والنشر، القاهرة، 2012، ص82. للمزيد انظر: يوقل،، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي ابولقمة ومحمد عزيز، منشور جامعة قارونس، 1988م، ص261.

(11) الشطشاط، علي حسين، المرجع السابق، ص82، للمزيد انظر يوقل، المرجع السابق، ص261.

الزراعة في القطاع الخاص مقسمة، فهناك مزارع خاصة بالأرز مثلاً، في المقابل كانت هناك مزارع العامة للناس، وهي عادة ما تكون صغيرة⁽¹²⁾.

أما أنواع المحاصيل الزراعية في بلاد سنغاي، فقد ذكر الفلقشندي أن الأهالي كانوا يعتمدون في غذائهم على " الأرز والقمح والذرة"⁽¹³⁾، وأنها كانت من الوجبات الرئيسية في سنغاي وكذلك يؤكد الوزان أن زراعة أهل سنغاي تشمل " الشعير والأرز"⁽¹⁴⁾. ويضيف الفلقشندي بقوله: " ... وعندهم الذرة وهي أكثر حبوبهم ..."⁽¹⁵⁾، وقد استخدمت إلى جانب قوتهم اليوم كطعام للخيول والجمال⁽¹⁶⁾، بالإضافة إلى الأرز الذي يزرع في مدينة كولو، وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك بقوله: " مدينة كبيرة على النيل فيها الأرز الكثير ".

بالإضافة إلى القمح، وكذلك الشعير الذي يعتبر مادة أساسية للغذاء في سنغاي، إلى جانب العديد من المحاصيل الأخرى، والذي سوف أتناوله تحت عنوان المحاصيل الزراعية.

هذا ويمتلك العديد من كبار رجال الدولة والموظفين والفضة مزارع خاصة، يشتغل بها عبيدهم في إنتاج المحاصيل الزراعية، وكان تعود عليهم بالفائدة العظيمة دون جهد منهم، الأمر الذي زاد من رفاهية تلك الطبقة في العيش، إلى جانب رواتبهم العالية التي كانوا يحصلون عليها من الدولة⁽¹⁷⁾.

أما ملكية الأراضي الزراعية فقد اختلفت في المملكة من طبقة إلى طبقة، فسلطان الدولة كان يملك أراضي زراعية واسعة، يعمل فيها الكثير من المزارعين، إلى جانب عبيده، وكان الإنتاج يقوم به نحو مائة عبد في حقول الأرز، يساوي مائتين وخمسين طناً، تحول كلها إلى مخازن السلطان؛ فالزراعة وتنوع محاصيلها من الأسباب التي كانت وراء زيادة الثراء في خزينة الدولة، خاصة إن الضرائب التي كانت تأخذ من الفلاحين قليلة جداً مقابل ما يحصل عليه من غلات زراعية، فلا يأخذ من الفلاح أكثر من ثلاثين كيبلاً مهما كان المطلوب منه أو المستحق عليه فيترك له الباقي حراً أو عبداً⁽¹⁸⁾.

وحتى لا يحصل تلاعب، أو اختلاس، أو غش، أو مغالطة، فقد وحد السلطان جميع الموازين والمكاييل في البلاد، فكان المتقال قد قدره الباحثين بحوالي اثنين وسبعين حبة، والدرهم السبع أعشار الدينار، والدينار كان يساوي أربعين درهماً، أما الأوقية فكانت تساوي سبعة وعشرين غراماً ونصف غرام⁽¹⁹⁾.

ومن الأدوات التي استخدمت في الزراعة المحراث، حيث كان استخدامها على نطاق ضيق، وفي بعض واحات البلاد، وقد يستعمل في جرها الثيران والجمال⁽²⁰⁾، واستخدموا كذلك الفؤوس في جرف الأراضي الزراعية، وقطع النباتات والأشجار، التي كانت تحول دون القيام بالزراعة وتسوية الأرض، كذلك استخدموا المجرفة⁽²¹⁾ والمعوال لتسوية الأرض، لتكون صالحة للزراعة عليها، فضلاً عن استخدامهم نفايات الحيوانات وفضلاتها، مثل: البقر، والأغنام، والماعز، في تسميد الأراضي الزراعية، وزيادة الإنتاج⁽²²⁾. كل ذلك بقصد سد حاجتهم، وتوفير حاجة البلاد من المحاصيل الزراعية، والغلال المختلفة⁽²³⁾.

وهكذا شهدت البلاد تحسناً ملحوظاً في الزراعة، خاصة في عهد الأسكيا، بالرغم أن الوسائل في الإنتاج كانت غير متطورة وبدائية، وأدخلت التحسينات على الزراعة، والرعي بقصد تحسين الفلاحة وأهلها.

ثانياً: وسائل الري ومصادر المياه:

1- الأنهار:-

بلاد سنغاي تجري بها العديد من الأنهار وروافدها، وأهمها نهر النيجر، ونهر السنغال، وهو ماجعل أراضيها خصبة، وصالحة للزراعة، ومن المؤكد تاريخياً أنها عرفت نظام الري حتى قبل عهد الأسكيا محمد الكبير، حيث كان نظام الري التحكم في منسوب مياه الفيضانات واحتجازها خلف السدود، قد كان من عهد سني علي⁽²⁴⁾، وقد أورد ذلك المؤرخ عبد الرحمن السعدي، من أن الملك سني علي اختمرت

(12) كعت، محمود، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيش وأكابر الناس، هودماسي، باريس، 1969 م، ص 96-106.

(13) الفلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص 280.

(14) الوزان، الحسين بن محمد الزياتي، ت 947 هـ / 1540 م، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد عبد الرحمن حميدة، علي عبد الواحد، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1979، ص 537.

(15) الفلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص 288.

(16) المصدر نفسه، ج 5، ص 280.

(17) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص 116.

(18) المرجع نفسه، ص 116.

(19) العربي، إسماعيل، حاضر الدول الإسلامية في القارة الأفريقية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 335.

(20) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص 71.

(21) المجرفة: عبارة عن لوحة من الخشب يجرفونها فوق الأرض بعد أن يكونوا قد نقوها من الشوائب ووضعوا في جوانبها البذور وتساعد في تسوية التربة وتلينها وخلق الأسمدة بها؛ المرجع نفسه، ص 172.

(22) عابدين، أحمد فتوح، الحواضر الإسلامية في غرب أفريقيا في القرنين السادس والسابع عشر الميلادي، تاريخها السياسي والحضاري والاقتصادي، رسالة مقنعة لنيل درجة الدكتوراه، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، 1989 م، ص 361.

(23) كعت، المرجع السابق، ص 56.

(24) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص 117.

في ذهنه فكرة شق قناة، لنقل المياه من الطرف الشمال لبحيرة فاكبين **Faqbin**، إلى منطقة ولاتة⁽²⁵⁾ الصحراوية، غير أن الحروب الخارجية جعلته يعدل عن فكرته للمشروع⁽²⁶⁾.

وكان حكام سنغاي ومنهم سني علي، يهتم كثيراً بأراء الخبراء في شؤون المياه الجوفية، والتجاويف الصحراوية، ومصادر المياه، وأدرك سر الأحاديث التي تدل على أن الدلتا الداخلية لنهر النيجر كانت تنتشر في ما بين أبار بحيرة فاكبين وولاته فقرّر تنفيذ المشروع⁽²⁷⁾.

ويرى بوفل أن سني علي كان يهدف من ذلك المشروع إلى نقل المياه إلى مدينة ولاتته، التي تبعد مائتي ميل عن الطرف الشمالي للبحيرة⁽²⁸⁾.

2- الأبار:

كذلك عرف أهل سنغاي الأبار الارتوائية في عهد الأسكيا محمد الكبير وخلفائه، واستخدموها في ري الواحات، والأراضي البور في المملكة، وهي أبار كانت في أغلبها تتغذى من مياه الأمطار الغزيرة، التي كانت تجري في الوديان⁽²⁹⁾، وقد تحدث عن وجودها العلامة ابن خلدون منذ القرن الرابع عشر، فقال: "وفي هذه البلاد الصحراوية طريقة غريبة في استنباط المياه الجارية لاتوجد في تلون المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى، وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلبة، فتحت بالمعول والفؤوس، إلى أن يبدق جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقفون عليها زبرة من الحديد، تكسر طبقتها عن الماء، فينبعث صاعداً فيفعم البئر، ثم يجري على وجه الأرض وادياً، ويزعمون أن الماء وبما أعجل سرعة من كل شيء⁽³⁰⁾.

وعن طريق المياه التي توافرت من تلك المصادر، كان يتم استغلال الأراضي المروية لإنتاج المحاصيل الزراعية المختلفة، ومنها: الأرز والذرة والقمح والشعير، والخضار بأنواعها والحضبات وغيرها⁽³¹⁾.

وقد كانت هناك في مملكة سنغاي وسيلتان لري الأرض، ونتاج المحاصيل الزراعية المختلفة، هما: المطر الموسمي، ومياه نهر النيجر وروافده الكثيرة، والذي شق منه الكثير من القنوات، ومنها تلك القناة التي أراد سني علي شقها لنقل المياه من الطرف الشمالي لبحيرة فاكبين إلى منطقة ولاتة الصحراوية، وقد سبق الإشارة إلى ذلك، بالإضافة إلى البحيرات المائية المنتشرة في منطقة منحني نهر النيجر الأعلى، والتي منها بحيرة فاكبين (**faqbine**)، وبحيرة كلنجي، وبحيرة ديبو⁽³²⁾، بينما كان الاعتماد في الزراعة وري المحاصيل عند المناطق البعيدة والنائية على مياه الينابيع وعلى الأبار⁽³³⁾.

وتتمركز الزراعة بشكل عام على جانبي نهر النيجر، وقد أورد الحسن الوزان أن نهر النيجر يشق أرض السودان، وتقع به أجمل أرض السودان خصوبة، وملانة للزراعة، وهي مملكة سنغاي، والذي يقع امتدادها على طول النهر⁽³⁴⁾.

وقد ذكر مارمول أنه ينبع من جبال لوم، وطوله أربعة آلاف ومئتان ك م 4200 كم⁽³⁵⁾، ونهر السنغال يصب في جمال قوتاجالون، وطوله ألف وسبعمائة كم 1700 ك م، وقد أضفى نهر النيجر على التربة خصوبة، وخاصة في فترة الطمي، ويدل فيضان النهر على كثرة الأمطار، حيث يعكس ذلك على خصوبة التربة وزيادة كمية الإنتاج الزراعي⁽³⁶⁾.

وقد تعلم مزارعو السودان الغربي بشكل عام، وفلاحين مملكة سنغاي بشكل خاص، أساليب زراعية متقنة، منها: سحب المياه للري الواسع، واستخدام الأسمدة من الفلاحين الوافدين على البلاد، أو المنطقة للعمل في الزراعة، ومنهم الفلاحين القادمين من الأندلس، حيث لعبوا دوراً هاماً في مجال الزراعة، وذلك بأن عمّ الزرع في كامل البلاد، واستعملت الأراضي وسفوح الجبال وشقت المصاطب والقنوات⁽³⁷⁾، ويؤكد بازل وافدسن بأنهم نقلوا من الشمال الأفريقي الخبرة في مجال الزراعة والمزروعات، وزادوا عليها ما احتاجوا إليه من أدوات زراعية ساهمت في نظام الاستغلال الجيد للأرض وزراعتها⁽³⁸⁾، وقد وصف صاحب تاريخ الفتن ذلك بقوله: " دخل الناس في الحرث، واشتغلوا به، وأكثر الله الغيث، وأنبت الزرع ورخص الطعام من كل جانب، وأطفأ الله ميزان الفتن"⁽³⁹⁾.

(25) ولاتة / هي أحد مدن جمهورية موريتانيا الحالية، ويقول النحوي: ربما تكون قد تأسست في القرن الهجري الأول، وورد اسمها عند ابن بطوطة ابوالآمن وقد اقام فيها خمسين يوماً يقول (وثياب أهلها حسان مصرية) وجاءت عند السعدي والآباء، ويفسر مصطلح ولاتته على حسب ما أورده الوزان بالأرض المرتفعة التي تقع إلى الشمال الغربي من مدينة نيبكت ويعني بنقده بلغة السنونك، النحوي خليل، بلاد شقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، 1987م، ص 68، ابن بطوطة، عبدالله محمد بن ابراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر بيروت، 1964، ص 677. والسعدي، موسى بن أحمد، زهور البساتين في تاريخ السودانين، مخطوط، مكتبة الباحث الهادي المبروك الدالي، دون تصنيف، دت، ص 7، غيث، امطير سعد، الثقافة العربية الإسلامية، وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دراسة في التواصل الحضاري العربي - الأفريقي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2004 م، ص 205.

(26) السعدي، المصدر السابق، ص 70.

(27) غيث، إمطير سعد، المرجع السابق، ص 157.

(28) يوقل، المرجع السابق، ص 234.

(29) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت 808 هـ / 1406 م، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ج 7، ص 119.

(30) المصدر نفسه، ج 7، ص 119.

(31) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص 118.

(32) غيث، امطير سعد، المرجع السابق، ص 157.

(33) زيارية، عبد القادر، المرجع السابق، ص 171.

(34) الوزان، المصدر السابق، ج 7، ص 30.

(35) كرنجال، مارمول، أفريقيا، ترجمة محمد صبحي، ومحمد ونيير، وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984، ج 3، ص 183.

(36) الدالي، الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 288.

(37) عابدين، أحمد فتوح، المرجع السابق، ص 360.

(38) دافدسن، بازل، أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة: جمال أحمد، دار الثقافة، بيروت، 1961 م، ص 65.

(39) كعت، المصدر السابق، ص 181.

وقد عُرف عن الفلاحين في مملكة سنغاي، إخلاصهم واجتهادهم في أعمالهم، فهم يبقون طوال النهر في مزارعهم يعملون، حيث أنهم كانوا يتناولون وجبة الغذاء داخل المزرعة، ولا يعودون إلى منازلهم حتى يحل الظلام⁽⁴⁰⁾.
لقد كان سكان مملكة سنغاي يستخدمون الري، وقد فرّ عوا عن نهر النيجر عدة قنوات وروافد، بالإضافة إلى البحيرات عند منحاة الأعلى، وكانت باقي المناطق تروا بالينابيع والآبار، وبالنظر إلى مناخ البلاد حيث الصيف الممطر والشتاء الجاف فقد كان ولا يزال موسم الزرع أو البذر يبدأ من ماي وحتى جوان، أما موسم الحصاد وقطف ثمار الغلات الزراعية والمحاصيل، فيكون من نهاية الخريف ومنصفه، ولم يكن وارد الزراعة في السنغاي محصور على الغذاء، وإنما كان منه كل مصاريف السنة، حيث يكون المصروف والدخل ومستويات المعيشة باختلاف حقولهم من حيث الاتساع الخصب⁽⁴¹⁾.

ثانياً: المحاصيل الزراعية:

1- الحبوب:

أ- الأرز:

" يعد هذا المحصول غذاء رئيسياً لأفراد شعب السنغاي كافة "⁽⁴²⁾، وكان يزرع على وجه الخصوص حول نهر النيجر وروافده، وذلك وكما هو معروف حاجة هذا المحصول الزراعي إلى المياه العذبة، وعرف من الأرز نوعان كان يزرعان في سهل جنوبي الفيض، أحدهما: قصير مننقح، والآخر: رفيع طويل، وقد اشتهر أهل سنغاي والفلاحون منهم بمهارتهم في زراعة الأرز في المزارع المروية، وكان قشوره وقشه يستخدم في صناعة الطوب مع الرمل لبناء المنازل، أو لتقوية أرضة المواني⁽⁴³⁾.

وقد ذكر القلقشندي أن أهالي سنغاي يعتمدون في غذائهم على " الأرز والقمح والذرة ..."⁽⁴⁴⁾، ويضيف الوزان أن زراعتهم تشمل الأرز والشعير⁽⁴⁵⁾، وقد أشار ابن بطوطة إلى كثرة زراعة الأرز في مدينة كوكو، وخاصة بعد قيام مملكة سنغاي إذ يقول: " وهي مدينة كبيرة على النيل (نهر النيجر) من أحسن مدن السودان الغربي وأكبرها وأخصبها، فيها الأرز الكثير..."⁽⁴⁶⁾ ويذكر عبد القادر زيادية على أن نوعاً من الأرز، كان يزرع في البلاد وهو النوع المعروف بـ (النوبي)، ومستواه ليس من الأنواع الجيدة، ويؤكد أن زراعته كانت بصورة خاصة حول نهر النيجر وروافده، وذلك لما يتطلبه الأرز من سقي وفير ومياه كثيرة، وأنه من الأغذية الرئيسية لمختلف طبقات الشعب في مملكة سنغاي الإسلامية⁽⁴⁷⁾.

ومن خلال عرض النصوص السابقة، يتضح أن الأرز من المحاصيل الزراعية التي يعتمد عليها سكان المملكة في حياتهم، إذ يعتبر من الوجبات الرئيسية لهم، خاصة أنه يزرع في أغلب مناطق مملكة سنغاي الإسلامية، حيث يؤكد كارلس مونتيل **Charles Monteil** أن أرض تنكيت صالحة لزراعة الأرز⁽⁴⁸⁾، وكذلك مدينة جني حيث أفاد الوزان بذلك، وقال بأنها تنبت الأرز والشعير ولا وجود لأية أشجار مثمرة أو شجرة فاكهة بها⁽⁴⁹⁾.

ب- الشعير:

اقتصرت زراعة الشعير على مناطق الواحات الشمالية الصحراوية في البلاد، وكان الشعير بشكل غذاء رئيسياً لسكان الواحات، وكان الأعراب ينقلون محصوله إلى الأسواق من المدن السودانية⁽⁵⁰⁾، وأما في بقية المناطق في المملكة فأهميته أقل⁽⁵¹⁾.
ويضيف الوزان أن زراعتهم كانت الشعير والأرز⁽⁵²⁾، ويزرع الشعير في العديد من المناطق، بالرغم من أهميته القليلة، ومنها: تنكيت وجني وكاغو، كما يزرع الشعير في كاتسينا ذات الضيعة الجببية الواحة⁽⁵³⁾.

ويؤكد الشطشاط أن الشعير كان يزرع في المناطق الشمالية، المطلة على الصحراء، وفي الواحات، وهو غذاء أساسي لأهالي تلك الواحات⁽⁵⁴⁾، وهذا يؤكد للباحث أن الشعير كان أقل أهمية من المحاصيل الزراعية الأخرى، وأنه كانت أهميته في مناطق زراعته بالواحات.

ج- القمح:

كانت زراعته قليلة في سنغاي، وكانت الكميات التي تنتج منه ضئيلة، وأكثر ما يوجد في البلاد كان قليلاً، وتستهلكه الطبقة الغنية في البلاد، أما الطبقات الأخرى من السكان فلا تصل مستوى معيشتهم إليه، وكان محصولهم منه ضئيلاً جداً⁽⁵⁵⁾، فكانت أثمانه عالية جداً، ولا يقدر على شرائه إلا الطبقة الثرية في البلاد⁽⁵⁶⁾.

(40) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص172.

(41) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(42) الوزان المصدر السابق، ص163.

(43) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص119.

(44) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص280.

(45) الوزان، المصدر السابق، ص537.

(46) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص695.

(47) زيادية، عبد القادر، المصدر السابق، ص173.

(48) كارمول، المصدر السابق، ج3، ص203.

Charles , Monteil: une cite sounamaise Djenne Metropoledu delta central du Nigen , so ciete' die dition gographeq: Maritimes et colonial parial , paris , 1931 , P: 199.

(49) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص163.

(50) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص119.

(51) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص174.

(52) الوزان، المصدر السابق، ص357.

(53) الدالي، الهادي المبروك، المرجع السابق، ص271-273.

(54) الشطشاط، علي حسين، المرجع السابق، ص82.

(55) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص174.

(56) التكتيك، جميلة امحمد، المرجع السابق، ص103.

وقد ذكر القلقشندي أن القمح من المحاصيل الزراعية في سنغاي، وأنهم يعتمدون في غذائهم على الحبوب (الأرز، القمح النذرة)، التي تشكل الوجبة الرئيسية للسكان في البلاد، فيقول: "يعتمدون في غذائهم على الأرز والقمح والنذرة" (57)، ولم يذكر الوزن والكمية وأهميته في زراعة أهل سنغاي، حيث يضيف بأنها تشمل الشعير والأرز (58). ويلاحظ أن القمح كانت زراعته محدودة، وأن أغلب الموجود منه مستورداً، ويقتصر على الطبقات الغنية والمغاربة، أما باقي سكان مملكة سنغاي فكان استهلاكهم له قليلاً، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها: ارتفاع أسعاره، وعدم تذوقهم له كمادة غذائية (59). وبالتالي يعتبر القمح من المحاصيل الزراعية الغذائية التي تزرع في بعض مناطق السودان الغربي، ولكنه لم يكن يكفي الاستهلاك المحلي لشعب مملكة سنغاي، حيث كان طعاماً للملوك، في حين اكتفاء بقية السكان بالنذرة (60)، وقد لجأ أهل سنغاي ومعظم أهل السودان إلى شراؤه من المغرب الأقصى، حيث كان المصدر في تلبية طلب الأهالي من سلعة القمح، وكانت أسعاره مرتفعة، حيث يباع القنطار من القمح بستة مثاقيل (61)، ووزن المثقال (62) 4.72 غراماً، فيكون السعر هو 28.32 مثقالاً من الذهب (63)، لذلك يرى الشطشاط أن القمح من المحاصيل النقدية، لأن يستبدل سعره بالذهب في سنغاي ولا يأكله إلا الطبقات المسورة الحال في البلاد ويجلب عن طريق التجار وهو ماجعل أثمانه غالية جداً (64).

وهكذا يتضح لنا أن القمح من المزروعات التي تزرع بكميات قليلة في مملكة سنغاي، وأنه كان يستهلك من الطبقات المترفة والغنية، حيث كان أغلب القمح الموجود يستورد من الشمال الأفريقي، وخاصة من بلاد المغرب.

د- الذرة:

وهي من المحاصيل الزراعية في المملكة، وهي من الحبوب التي كانت المحصول الأساسي للسكان، حيث كانت تزرع في مناطق عديدة من أراضي سنغاي (65)، ويؤكد القلقشندي ذلك بقوله: "... وعندهم الذرة وهي أكثر حبوبهم..." (66). وبالإضافة إلى دخول الذرة في طعام وغذاء أهل سنغاي، فقد استخدموها أيضاً كطعام لدوابهم، وخاصة الخيول والجمال (67)، ويؤكد القلقشندي أن الذرة محصول أساسي للسكان، وأنهم يعتمدون عليها في غذائهم إلى جانب الأرز والقمح (68)، ويصف البكري بأنه كان غذاء لبقية سكان سنغاي، وهم ضعاف الحال وغير الملوك والقادرين (69).

هـ- الدخن:

ويعرف الدخن (70) أيضاً ببعض البلاد (بالبشنه)، وهو نبات عشبي ذو بذور صغيرة، نشأ أصلاً في أفريقيا وآسيا، وينمو في التربة الرملية الجافة، وينمو أيضاً في أجواء حارة وجافة، وفي تربة أقل خصوبة (71). وهو من المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع في جميع جهات البلاد من مملكة سنغاي، ويعتبر الغذاء الأساسي الأول لفقراء البلاد، أما الطبقة الغنية والمرفهة فقد كانوا يعتمدون على القمح في غذائهم، وكان سلاطين سنغاي منهم يتصدقون بمقادير من الدخن على الفقراء من أهل سنغاي، تشكل منه من الميسورين هدايا إلى الأشراف في أغلب الحالات (72)، وكان الدخن مزروعا في كل أرجاء المملكة، خاصة في عهد الأسكيا محمد الكبير، وخلفائه في الحكم من بعده، حيث كان يمثل الغذاء الأساسي لغالبية الناس في البلاد (73). ويضيف الوزن أن الدخن يزرع في كاشينا وزنفرى، حيث طبيعتهما الجبلية الواعرة (74).

(57) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص280.

(58) الوزن، المصدر السابق، ص537.

(59) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص120.

(60) موسى، علي زايد، أسماء، الصلات التجارية بين المغرب الأقصى والسودان في عصر المرابطين (448-541 هـ / 1056-1146م)، دار الكتب الوطنية، جامعة 7 أكتوبر، بنغازي، 2008، ص162.

(61) البكري، أبو عبدالله بن عبدالعزيز، ت 487 هـ / 1492م المغرب في ذكرى بلاد أفريقيا والمغرب، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1858، ص158.

(62) المثقال: وهو من الموازين التي كانت منتشرة في بلاد السنغاي، وكان يعادل زنة اثنين وسبعين حبة من حبات القمح متوسطة الحجم، على فاي منصور، المرجع السابق، ص146.

(63) موسى علي زايد، أسماء، المرجع السابق، ص163.

(64) الشطشاط، علي حسين، المرجع السابق، ص82.

(65) التكتيك، جميلة امحمد، المرجع السابق، ص102.

(66) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص228.

(67) المصدر نفسه، ج5، ص280.

(68) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص277.

(69) البكري، المصدر السابق، ص158.

(70) الدخن وهو أحدهما أحرش من الآخر وهو الذي يمكن أن يتحليل فينسل عنه قشرة كم ينسل الأرز والآخر زلال وبارد لايتسل بل يرقب، جالينوس في السادسة: هذا جنس من الحبوب منظره شبيه الجاورس وقوته شبيهة بقوة وغذاؤه يسير يجفف.

ديفوريس في الثانية: هو أيضاً من الحبوب يعمل منه الخبز كما يعمل من الجاورس، اسحاق بن عمران: يدر البول ويبطئ الانهظام في المعدة ويخلط مع اللبن وهو غذاء صالح ويقطع الأسهال والقي ابن البيطار، ضياء الدين أبي عبدالله أحمد الاندلسي الملقب، الجامع لمقررات الأدبية والانزوية، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ط، ج1، ص367-368.

يوم السبت الموافق 16-2-2019 الساعة 11 نهاراً www.google.wikipidia.com (71)

(72) زيادة، عبد القادر، المرجع السابق، ص174.

(73) مجلة: رسالة اليونسكو، العدد 276، القاهرة، 1984 م، ص12-13.

(74) الوزن، المصدر السابق، ج2، ص173-174.

و- السورجو - السورجو:

وهو نبات أصغر في حياته من الحمص، لونه أبيض، عليه نقط سوداء، كانت زراعته منتشرة في مملكة سنغاي، ولا تزال موجودة، ويحتل المرتبة الثالثة في الغذاء بعد الأرز والدخن، أما مناطق زراعته فهي في حوض نهر النيجر وروافده⁽⁷⁵⁾، وقد كان السورجو مزروعاً سودانياً بحثاً ولا تزال إلى وقتنا الحاضر، وقد استمرت مملكة سنغاي بزراعته واستهلاكه بالنسبة لغذاء السكان خاصة في عهد الأسبقين، وزراعته حول النيجر وروافده فقط⁽⁷⁶⁾.

ز- الفوني - الفونيو:

وهو من النباتات السودانية التي كانت تزرع في مملكة سنغاي الإسلامية، غير أن زراعته كانت قليلة خاصة في عهد الأسبقين، وكانت تصنع منه المشروبات، وفي شكل حساء، واستخدم قبل دخول الإسلام في الأعياد الدينية والوثنية كمشروب، وربما قل استخدام الفوني وقلت زراعته بعد مجيء الإسلام⁽⁷⁷⁾، والفوني أو - الفونيو - يشبه في نباته بالخرطال⁽⁷⁸⁾، غير أن زراعته ظلت محدودة ولم تتوسع خاصة في عهد الأسكيا محمد الكبير⁽⁷⁹⁾.

2- الفاصوليا:

كانت تعرف " البقوليات " في مملكة سنغاي باسم الفاصوليا، وهي أنواع متعددة ظلت تمارس زراعته في المملكة وهي:

أ- الفول:

كان يزرع في جميع مناطق مملكة سنغاي، ويدخل في غذاء السكان بصورة كبيرة وبكثرة، ولم يكن من النوع الجيد، إنما كان من النوع الخشن، وهو الموجود في المغرب⁽⁸⁰⁾، ويؤكد زيادة أنه لم يجد في أبحاثه ذكر لوجود الفول السوداني (ككاوية)، والذي يكثر الآن في مناطق عديدة من السودان الغربي، ويقوم السكان هناك بزراعته كمحصول مهم⁽⁸¹⁾، ويزرع الفول في جميع أقاليم الدولة في ذلك الحين، وكان السكان يستهلكونه بكثرة في غذائهم⁽⁸²⁾، ويرى امطير سعد غيث أن الفول السوداني كان يزرع في السودان الغربي إلى جانب محاصيل الذرة والدخن⁽⁸³⁾. كما كانوا يجمعون من الأرض حبوباً شبيهة بالفول، ويقفونها ويأكلونها⁽⁸⁴⁾.

ب- الحمص:

وكان من المحاصيل الزراعية التي يستهلكها السكان بكثرة في مملكة سنغاي الإسلامية، وكانت زراعته على موسمين فكان يزرع بعلياً ومروياً⁽⁸⁵⁾، وكانت زراعة محصول الحمص في المناطق الشمالية من المملكة أكثر من مناطق الجنوب⁽⁸⁶⁾.

ج- اللوبيا:

من المحاصيل التي كانت تزرع في المملكة، وخاصة في المناطق القريبة من نهر النيجر، أما الواحات والمناطق الشمالية، فكانت زراعة اللوبيا قليلة ونادرة⁽⁸⁷⁾، ومع ذلك فكان المحصول يغطي حاجة البلاد والمستهلك، لأنه كان غذاءً ثانوياً فقط، ولم يكن من الأغذية الرئيسية وتقدم أحياناً للضيوف⁽⁸⁸⁾. ويضيف الفلقشندي بقوله: " وبها زراعة اللوبيا... " ⁽⁸⁹⁾.

3- الخضر والفواكه:

كان معظم الخضروات والفواكه معروفة، حيث كانت تزرع في كل أنحاء المملكة، ومن تلك البصل واللفت والفل والبطيخ والقرع، وغيرها من الخضر والفواكه التي سيأتي ذكرها، وكانت محاصيلها تغطي الأسواق، ولذلك كانت رخيصة الثمن⁽⁹⁰⁾. ويتفق أغلب الرحالة والمؤرخين ومنهم الحسن الوزان وابن بطوطة والفلقشندي، على توافر الفواكه والخضر في هذه البلاد، وكثرة محاصيلها⁽⁹¹⁾، حيث أشار الوزان إلى ذلك بقوله: " ... ويكثر فيها البطيخ ... " ⁽⁹²⁾، وتحدث الفلقشندي عن أهم الخضروات الموجودة في ذلك الوقت قائلاً: " ... وبها من الخضروات اللوبيا، واللفت والثوم والبصل والبادنجان والكرنب، أما الملوخية فلا تطلع عندهم إلا برية،

(75) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص120.

(76) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص174.

(77) زيادية، عبد القادر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(78) الخرطال: وهو نبات له قصبية وورق يشبهان قصب الحنطة وورقها وقصبته ذات عقد وفي طرف قصبته في رأسه ثمر يشبه بالراقي في علفه مقسومة لقسمين وهذه الثمرة تقع في الضمء كما تقع ثمرة الشعير، ويعمل منه حشيشة تؤدي إلى تمل البطن، مثل ماء الشعير، وهو نافع في استطلاق البطن، ابن البيطار، المصدر السابق، ج1، ص324.

(79) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص120.

(80) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(81) المرجع نفسه، ص175.

(82) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص120.

(83) غيث، امطير سعد، المرجع السابق، ص157.

(84) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص175.

(85) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص120.

(86) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص175.

(87) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص120.

(88) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص687. الدالي، الهادي المبروك، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، الطبعة الأولى، دار حنين للطباعة والنشر، بيروت، 1996، ص69.

(89) الفلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص289.

(90) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص121، الدالي، الهادي المبروك، المرجع السابق، ص68.

(91) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص176.

(92) الوزان، المصدر السابق، ص544.

والقرع عندهم بكثرة، وعندهم شيء شبيه بالقلقاس⁽⁹³⁾. يزرع في الخلاء ... " (94)، ويضيف الوزان أيضاً بقوله: " وتوجد زراعة الخيار " (95)، وقد أشر القلقشندي أيضاً أنها يكثر لديهم فواكه مثل الجميز⁽⁹⁶⁾ وتادمون⁽⁹⁷⁾ وهي حلوة المذاق حسب ما أورده القلقشندي⁽⁹⁸⁾. وقد أشار ابن بطوطة أنه يكثر عندهم الفقوس العنابي، وأنه لا مثيل له، وكذلك الملوخية البرية والثوم والكرنب والبادنجان، كما ذكر أنه يكثر عند أهل السنغاي زراعة نبات القرعة، ويستعملونها في غذائهم، ويصنعون منها أواني يستعملونها في حياتهم اليومية، وأفاد ابن بطوطة أن صحون القرعة، كان تحمل إلى الكثير من مناطق السودان الغربي⁽⁹⁹⁾. وتشمل الفواكه أيضاً التي زرعت في بلاد سنغاي، أشجار الحمير وهي كثيرة، وكذلك تادموت وشجر زيزور⁽¹⁰⁰⁾، وهي تشبه في ثمارها بقرون الخروب وشجر قومي⁽¹⁰¹⁾ الذي يشبه السفرجل⁽¹⁰²⁾ (103).

وكانت زراعة الخضر والفواكه في البلاد تعتمد على مياه نهر النيجر، والأمطار، ومياه الآبار العذبة، فكانت تزرع كميات ضخمة من البطيخ، والخيار والقرع الجيد، كما كانت تزرع الخضر والفواكه في الجبال المكسوة بالغابات المليئة بالعيون المائية العذبة، حيث يوجد بها البرتقال والليمون البري⁽¹⁰⁴⁾، كما ينتج فواكه قال عنها الوزان: " ... لا يختلف مذاقها عن مذاق الشجر المغروس ... " (105).

بالإضافة إلى ذلك كان يزرع السلق، والذي كان يعتمد على مياه الآبار العذبة أيضاً، وكان يباع للتجار بأثمان مرتفعة، وقد

أورد كعت أن هذا النوع من المحاصيل لا ينمو ولا يثمر إلا على مياه هذه الآبار والتي لا ينقص عمقها غالباً عن ستين⁽¹⁰⁶⁾ ذراعاً⁽¹⁰⁷⁾.

4- المزروعات الصناعية:

أ- القطن:

من المزروعات التي حرص أهل بلاد السنغاي على الاهتمام بزراعتها، خاصة في المناطق الوفيرة المياه، حول الأنهار وفروعها، ومن المناطق التي تنزل بها أمطار سنوية يكفي لزراعة محصول القطن⁽¹⁰⁸⁾، ومن المرجح أن بذرة القطن التي كانت تزرع في البلاد، قد جلبت من الشمال الأفريقي ومنها مصر⁽¹⁰⁹⁾، ويتضح لنا ذلك كباحث، من كلام ابن بطوطة، في أن الثياب المصرية كان عليها إقبال كثير من أهل سنغاي، وكافة السودان الغربي، حيث يقول: " يسافرون كل عام إلى مصر، ويجلبون مافيها من حسان الثياب " (110).

ويؤكد أيضاً العمري عن لباسهم في العمائم، حيث يقول: " وقماشها بياض من قطن تزرع عندهم وينسج في نهاية الرفع واللف يسمى الميصاء " (111).

(93) القلقاس: ينبث على المياه وله ورق كبير أملس يشبه ورق الموز إلا أنه ليس بطوله وهو مجفف يشبه ورق القرع ولكل ورقة من ورقه قضيب متفرد وسمكه كالاصبع أو أكبر، وليس لهذا النبات ساقه ولا ثمر وظاهرة مائل إلى الجمرة وداخله أبيض وكيف مكثز مماثل للموز وطعمه فيه قبض مع حراقة قوية تدل على حرارته وبيسه، وغذا سلق بالماء زالت حرارته واكتسب لزوجة مغرية تقبل على المعفوضة صات فيه قوة مقوية للمعدة معينة على مجلس البطن إذا من مقدار لا يثقل على المعدة متخلية ضرورة لنقله وبعد أنهضاقه صار نافعاً في سحوج الأمعاء وقشرة أقوى على حبس البطن من لحمة لأن القبض فيه أغلب غيره، يزيد في المياه ويسمن وإذما نه يولد السوداء. ابن البيطار، المصدر السابق، ج2، ص277.

(94) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص544.

(95) الوزان، المصدر السابق، ص544.

(96) الجميز: وهو التبن الأحمر، وهو شبه بشجرة التين وورقة شبيهة بشجرة التوت وتتميز من ثلاثة إلى رابعة في السنة أيام الربيع في هذه الشجرة لين قبل أن تثمر بأن يرضى قشرها الخارج بحجر فإنه إن يجاوز الرضى القشر الخارج إلى داخل لم يخرج في شيء وقد يجمع للين بأسفنجة أو بصوف ثم يجفف ويقرص ويخزن في أناء من خزف وقوته مليئة ملازمة للجراحات محللة للأورام العسرة التحليل، وقد يشرب ويمسح لوجع المعدة والطحال وهو أحلى من التبن. ابن البيطار، المصدر نفسه، ج1، ص: 228-229.

(97) تادمون: شجرة يحمل شيئاً مثل القواريس فس داخل القواريس شيء شبيه بدقيق الحنطة ساطع البياض وحلو المذاق، المصدر نفسه، ص30.

(98) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص488.

(99) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص679-680.

(100) زيزور: وهو شجرة تخرج ثمرته مثل قرون الخروب له دقيق حلو المذاق وله نوى، ابن البيطار المصدر السابق، ج1، ص245.

(101) قومي: تأويله باليونانية البخور ومنه سمي القومي لأنه كان يستعمل في بخور الهياكل قديماً وميمونة شجرة الأرض حيث رائحته أيضاً وهو لديد الطعم، يشبه طعم الموز وله نوى، المصدر نفسه، ج2، ص293.

(102) السفرجل: يعد نوع من أنواع الفاكهة ويصنف ضمن العائلة الوردية وهو يشبه الأجاص والتفاح في الشكل ويتميز برائحته القوية ويلوثة الأصفر وهي بحيرات صغيرة تحمل أرقاً صغيرة وتحمل هذه الشجرة زهور وردية بيضاء. مجلة حياتك - الأردن، 2017،

السبت 16-2-2019 - الساعة 11 نهاراً. www.googlewidpdia.com

(103) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص588. والتكتيك، جميلة امحمد، المرجع السابق، ص104.

(104) الدالي، الهادي المبروك، المرجع السابق، ص272.

(105) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص173.

(106) كعت، المصدر السابق، ص63.

(107) الزراع: ومن مقابيس أهل السودان الغربي، وهو الامتداد بين عقدة المرفق ونهاية الوسط، ويساوي حوالي 50 سم تقريباً. انظر غيث، امطير سعد، التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي، ص152.

(108) غيث، امطير سعد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في السودان الغربي، ص359.

(109) المرجع نفسه، الصفحة نفسها. وللمزيد: انظر زيادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989 م، ص17.

(110) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص697.

(111) العمري، المصدر السابق، ج5، ص52-53.

وكان القطن يزرع في المناطق المحيطة بنهر النيجر، أما زراعته في المناطق الشمالية من بلاد سنغاي كادت تكون معدومة، ولكن الفلاحون في البلاد يهتمون بزراعته اهتماماً كبيراً، حيث كان محصول البلاد من القطن وفيراً، ويكفي حاجة البلاد⁽¹¹²⁾، وقد أكد الحسن الوزان انتشار دكاكين حياكة القطن في البلاد، والذي يؤكد على زراعة واستغلاله في حياتهم اليومية⁽¹¹³⁾. وقد استخدم سكان بلاد السنغاي بصفة خاصة، وأهالي السودان الغربي بصفة عامة القطن في صناعة الملابس، خاصة وأن العقيدة الإسلامية التي سادت بلاد السنغاي كانت تشجع الاكتساء في الملابس وكذلك ستر العورة⁽¹¹⁴⁾. ويؤكد القلشندي أن زراعة القطن تنتشر حول نهر النيجر حيث تتوافر المياه، ويستفاد منه في صناعة النسيج⁽¹¹⁵⁾. ويضيف الحسن الوزان قائلاً: "ويجنى سكان البلاد أرباحاً عظيمة من تجارة القطن، التي يمارسونها مع تجار البربر، ويبيع منهم هؤلاء بالمقاصة الكثير من الأقمشة والأردية"⁽¹¹⁶⁾ وهو ما يدل على أن زراعة القطن كانت من ضمن اهتمامات الفلاحين في معظم مناطق المملكة. ويرى الباحث أنه بالرغم من أن بكرة القطن الأولى، قد جلبت من شمال أفريقيا إلا أن زراعته كانت قد توسع فيها أهل سنغاي، خاصة في عهد محمد الكبير، حول مناطق نهر النيجر وروافده، حيث زادت كمية الإنتاج بكميات كبيرة، ودخل في صناعة الملابس، والحياكة بصفة عامة.

ب- الكتان:

اهتم سكان سنغاي بزراعة نبات الكتان حيث صنعوا حبلاً⁽¹¹⁷⁾، وكانت الكميات التي تنتجها البلاد منه كبيرة نسبياً⁽¹¹⁸⁾، وقد أدت عناية الفلاحين بزراعة الكتان إلى غزارة محصوله، واستخدم في الصناعة⁽¹¹⁹⁾، وكما جاء في كتابات الحسن الوزان، نقلًا عن عبد القادر زيادية، كان نبات الكتان يصنع منه السنغائيون حبلاً⁽¹²⁰⁾.

ج- قصب السكر:

كان قصب السكر يزرع بكميات كبيرة في مملكة سنغاي، حيث تتركز زراعته في المناطق الوسطى والجنوبية من البلاد، وكان محصول القصب وفيراً وبكثرة، وبالرغم من ذلك ومن توافر محصول قصب السكر بكثرة، فلم يكن هناك ما يفيد أن السكان كانوا قد مارسوا صناعة السكر، فكان السكر من واردات البلاد الأساسية، وهذا ما يدل على أن صناعة السكر بالبلاد كانت ضعيفة جداً⁽¹²¹⁾، ولم يكن معروف على وجه التحديد ما بلغه مستوى صناعة السكر في البلاد، على الرغم من وفرة محصول هذا النبات، ومن المؤكد أن صناعته كانت ضعيفة وقليلة جداً، وذلك أن بعض المؤرخين ذكروا أن السكر كان من أهم صادرات بلاد سنغاي الرئيسية⁽¹²²⁾، وكذلك أشار الحسن الوزان أنه لاحظ الكثير من الصناعات في البلاد، أثناء زيارته للمنطقة مثل: صناعة الأقمشة، والدبغ الجلود، وتجفيف السمك ولم يذكر شيء عن صناعة السكر⁽¹²³⁾، وهو ما يدل على أن السكان المحليين مارسوا زراعة قصب السكر، ولم يفكروا في تصنيعه، لربما كونه يكلف مصاريف طائلة، مما جعلهم يهتمون بتصديره، والاستفادة منه في مجال التجارة.

د- الحناء (البرناء):

وهي من النباتات التي كانت تزرع في بلاد السنغاي، وخاصة في المناطق الشمالية، وفي الواحات، وكانت تنتج بكميات ضخمة، فكانت تكفي حاجة السوق المحلي، وكان استعمالها أولاً للزينة، ثم تستعمل أحياناً للعلاج في البلاد⁽¹²⁴⁾، ويؤكد زيادية أن الكميات التي كانت تزرع منها كثيرة، بحيث تكفي حاجة البلاد، بالرغم من أن سكان البلاد يستخدمونها في التزيين ومعالجة الأمراض⁽¹²⁵⁾.

5- الأشجار المثمرة:

أ- النخيل:

وهي من أهم الأشجار المثمرة في بلاد سنغاي، وكانت تزرع في المناطق والواحات الشمالية للبلاد، غير أن إنتاج التمور في هذه المناطق، لم يكن يكفي حاجة السكان من الاستهلاك المحلي للتمور، فكان لابد من استيراد كميات منه من خارج البلاد⁽¹²⁶⁾، وخاصة من ورقلة⁽¹²⁷⁾، وهي تقع من صحراء نوميديا الجزائر الآن، بيوتها جميلة، فهي واحة واسعة، ويكثر فيها النخيل، وتعتبر مركزاً تجارياً هاماً، ونقطة اتصال، حيث تربط المغرب الأوسط بالسودان الغربي، ويكثر فيها الصناع، وسكانها على درجة من الفن، ويأتي إليها الباعة والتجار بمننوتهم لمبادلتها لها بالسلع السودانية، وبسكرة، والواحات الشرقية من الجزائر الحالية⁽¹²⁸⁾، وقد أورد ذلك محمود كعت حيث

(112) زيادية عبدالقادر، مرجع سابق، ص176.

(113) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص165-166.

(114) عابدين أحمد فوح، المرجع السابق، ص366.

(115) القلشندي، المصدر السابق، ج5، ص277، والتكتنيك، جميلة امحمد، المرجع السابق، ص105.

(116) القلشندي، المصدر السابق، ج5، ص277، والتكتنيك، جميلة امحمد، المرجع السابق، ص105.

(117) الوزان، المصدر السابق، ص537.

(118) زيادية، عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسبقين، المرجع السابق، ص176.

(119) الوزان، المصدر السابق، ص537..

(120) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص176.

(121) زيادية، عبد القادر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(122) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص121.

(123) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص165-166.

(124) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص122.

(125) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص176.

(126) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص121.

(127) الوزان، المصدر السابق، ص508.

(128) زيادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص177.

يقول: " أن تمر ورقلة كان لدى السكان ولع به، لجودته "(129)، ولهذا كان يباع في الأسواق، خصوصاً عندما ينقص ورود القوافل التجارية التي تنقل التمور إلى البلاد(130).

ب- الزيتون:

وتكثر زراعته في بلاد السودان الغربي، وخاصة في مدينة سهل، إحدى مدن مملكة السنغاي بالسودان الغربي، خاصة في عهد (سني علي)، وكان يشرف على زراعته الإمام (عبد الله الأندلسي) (131)، " فقد زرع ألف وثمانمائة شجرة زيتون"(132)، ومن هنا يتضح للباحث أن الزيتون كان يزرع في البلاد، وهو من الأشجار المثمرة، ويقارن إنتاجه بإنتاج تمور النخيل من حيث الاستهلاك.

3- الكروم والتين:

وهو من أشجار البحر المتوسط، وكانت أثمانها مرتفعة(133)، ولكنها كثرت أشجارها في بلاد السنغاي، وتركزت في الأقاليم القريبة من نهر النيجر، عند الشمال، وفي وسط البلاد(134)، فالكروم كانت تحديداً في مناطق النهر، ووسط البلاد وشمالها، أما التين فكانت زراعته في الشمال أكثر، والحقيقة أن هذه المحاصيل لم تكن تكفي حاجة بلاد سنغاي، ولذلك كان الزبيب والتين المجفف من مستوردات البلاد الخارجية، وكانت أثمانها مرتفعة جداً، ووصلت أحياناً إلى أثمان القمح(135)، وأشرنا إلى أثمان القمح سابقاً.

وقد ذكر الشيخ عثمان بن علي الحضري الفزاني، في مخطوطته أن زراعة الدوم والكروم كانت تعتمد على الأمطار والأبار، حيث قال: " ... زرعت الكروم في دار سنغاي بأقنز، وهي دار بيت المرحوم الحاج سالم بن عبد الرحيم ... يوم سبعة وعشرين بتقديم السين يوم الأربعاء عند الضحى، عام تسعة بتقديم الثاء والسبعين، بتقديم السين بعد تمام الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وولدت تلك الكروم في أواخر ربيع الأول عام الثمانين وألف صحيحاً صحيحاً بالمعانية، وأكلت تمرها يوم العشرين من جمادى الآخر بحمد الله وحسن عونه"(136).

6- الحمضيات:

والتي تتمثل في البرتقال والليمون، حيث توجد بكثرة في جميع أراضي مملكة سنغاي الزراعية، وهي تحظى بعناية كبيرة من قبل الفلاحين، في زراعتها والاهتمام بها والمحافظة عليها(137).

وتوجد أشجار البرتقال والليمون بكثرة في الواحات الشمالية، وفي المناطق الوسطى والجنوبية حول نهر النيجر، وكان سكان البلاد يقبلون على شراء المحاصيل من البرتقال والليمون، حيث كان له قيمة غذائية كبيرة في نظرهم(138).

ويوجد لديهم أشجار الموالح، والتي كانت متوافرة في بلاد السنغاي، وكذلك أشجار البرتقال والليمون(139)، وأشجار أخرى تعرف بالزيزوز، وأخرى بالقوص، وأشجار تشبه الليمون، يستخرج منها مخلوط يشبه السمن، يستخدم في قود السراج، وصنع الصابون، وطلاء المنازل، كما تنتج أرضهم الكولا، وهو يستعمل في المبادلات التجارية، كما توجد لديهم جبال خالية من السكان مكسوة بالغابات مليئة بالعيون المائية، بها أشجار البرتقال والليمون(140).

وقد أورد ابن بطوطة أن لديهم غابات كثيفة، بها أشجار مثمرة، وغير مثمرة، وأن القافلة الواحدة كانت تستظل تحت شجرة واحدة، وهذا دليل على ضخامتها، وأن النساج ينسج عزلة بداخلها، وبها أشجار مثمرة أشبه بالتفاح، والمشمش والخوخ(141).

وهناك أشجار يستخرج من ثمارها دقيق، يستعمله التجار في المبادلات التجارية والأسواق(142)، بالإضافة إلى ذلك كله، بعض الأخشاب التي كانت تصنع منها المراكب والسفن والأبواب، والتي كانت من غابات جنوب النيجر، وهي من الأشجار غير المثمرة أيضاً(143).

الخاتمة: وهكذا ومن خلال هذا العرض للمزروعات في مملكة السنغاي الإسلامية، يتضح للباحث أن المزروعات في البلاد كانت متنوعة، وكان أغلب سكان المملكة يعيشون على مورد الزراعة، وأنها من المصادر الأساسية في حياتهم الاقتصادية، ونسنتج أيضاً أن الزراعة كانت من المصادر الأساسية لثروة البلاد الاقتصادية، وأن زيادة الإنتاج كان سببها جريان الأنهار، ومنها نهر النيجر، والسنغال وروافدهم، كذلك وفرة الأمطار، وخصوبة التربة، ولا ننسى عامل الخبرة الذي وفد من الشمال الأفريقي على المملكة، ومن الأندلس، ويبدو أن نتائج ذلك كله أدى إلى استغلال الأراضي الزراعية كل ما أمكن ذلك، حيث اتجه أهل سنغاي إلى استغلال سفوح الجبال وشق الترع والقنوات المائية والمصاطب حتى أصبحت الزراعة من المصادر الاقتصادية والأساسية للثروة في بلاد سنغاي.

(129) كعت، المصدر السابق، ص29.

(130) زيادة، عبد القادر، المرجع السابق، ص177.

(131) عبد الله الأندلسي: هاجر أجداده من الأندلس إلى السودان الغربي، وكان له سبعة أولاد وثلاث بنات، وهم محمود وسنغغ ومصطفى وسكلع وعثمان وبغيع وإسحاق، ومن البنات عاتكة وفاطمة وحسنة. للمزيد انظر: مرجبا: محمد محمد المقتي، التاريخ الخاص بالتوتر، مخطوط، ورقة رقم

15. نقلاً عن: الدالي، الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي، المرجع السابق، ص242.

(132) مرجبا، المخطوط نفسه، ورقة 15-16.

(133) غيث، امطير سعد، المرجع السابق، ص156-157.

(134) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص122.

(135) زيادة، عبد القادر، المرجع السابق، ص177.

(136) الفزاني، عثمان بن علي بن أبي بكر الحضري، مخطوط، مكتبة محمد الحضري بأقذار 1080 هـ / 1669 م، وبكذا لا من بن أحمد، تاريخ أقذار، مخطوط، مكتبة الحاج عبد القادي البيهني، دون تصنيف، مخطوط، ورقة 14. نقلاً عن، الدالي، الهادي المبروك، المرجع السابق، ص273.

(137) التكتيك، جميلة أحمد، المرجع السابق، ص104.

(138) زيادة، عبد القادر، المرجع السابق، ص177.

(139) علي، فاي منصور، المرجع السابق، ص122.

(140) الدالي، الهادي مبروك، المرجع السابق، ص275.

(141) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص681، كارل مول، المصدر السابق، ج1، ص53، والدالي الهادي المبروك ملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغربي وليبيا، المرجع السابق، ص69.

(142) الدالي الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا، المرجع السابق، ص276.

(143) العربي، إسماعيل، المرجع السابق، ص481-488.

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

- ابن بطوطة، عبدالله محمد بن ابراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر بيروت، 1964 .
- البكري، أبو عبدالله بن عبدالعزيز، ت 487 هـ / 1492م المغرب في ذكرى بلاد أفريقيا والمغرب، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1858 .
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت 808 هـ / 1406 م، العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979،
- السعدي موسى بن أحمد، زهور البساتين في تاريخ السودانين، مخطوط، مكتبة الباحث الهادي المبروك الدالي، دون تصنيف، دت .
- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم (ت 350هـ / 963م)، المسالك والممالك، وزارة الثقافة والإعلام، القاهرة، 1961 م.
- القلقشندي، محي الدين بن أحمد، ت 1441/845 م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر، القاهرة، 1963، ج5.
- الوزان، الحسين بن محمد الزياتي، ت 947 هـ / 1540 م، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد عبد الرحمن حميدة، علي عبد الواحد، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1979.

المراجع :

- التكتيك، جميلة امحمد، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير 1493-1528، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988.
 - دافسن، بازل، أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة: جمال أحمد، دار الثقافة، بيروت، 1961 م.
 - الدالي، الهادي المبروك، التاريخ السياسي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999 .
 - زبادية، عبدالقادر، مملكة سنغاي في عهد الأسبقين، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، دت، ص25.
 - زبادية، عبدالقادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
 - شرف الدين، لمياء محمد سالم، بعض ملاحم أزمة أفريقيا الاقتصادية في القرن الخامس للإسلام، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1999.
 - الشطشاط، علي حسين، الموجز في التاريخ الدول الإسلامية في غرب أفريقيا جنوب الصحراء، وإرقياء للطباعة والنشر، القاهرة، 2012.
 - عابدين، أحمد فتوح، الحواضر الإسلامية في غرب أفريقيا في القرنين السادس والسابع عشر الميلادي، تاريخها السياسي والحضاري والاقتصادي، رسالة مقنعة لنيل درجة الدكتوراه، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، 1989 م.
 - العربي، إسماعيل، حاضر الدول الإسلامية في القارة الأفريقية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
 - علي، فاي منصور، أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغاي الإسلامية (889-935هـ/1493-1529م)، منشورات مكية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1997.
 - الفيتوري، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء، مرحلة انتشار الإسلام، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1998 م.
 - غيث، امطير سعد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دراسة في التواصل الحضاري العربي - الأفريقي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2004 م.
 - غيث، امطير سعد، التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي، فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1996.
 - كرنجال، مارمول، أفريقيا، ترجمة محمد صبحي، ومحمد نير، وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984، ج3.
 - كعت، محمود، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، هودماسي، باريس، 1969 م
 - محمد، ظاهر جاسم، أفريقيا ما وراء الصحراء منذ الاستقلال إلى الاستعمار، دراسة تاريخية، دن، دم، دت.
 - موسى، علي زايد، أسماء، الصلات التجارية بين المغرب الأقصى والسودان في عصر المرابطين (448-541 هـ / 1056-1146م)، دار الكتب الوطنية، جامعة 7 أكتوبر، بنغازي، 2008.
 - النفيرة، محمد عبد الله، التأثير الإسلامي في غرب أفريقيا، مطبعة الفرزدق، الرياض، 1988.
 - يوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي ابولقمة ومحمد عزيز، منشور جامعة قاريونس، 1988م .
- Charles , Monteil: une cite sounamaise Djenne Metropoledu delta central du Nigen , so ciete' die dition gographeqe: Maritimes et colonial parial , paris , 1931.**

